

تفسير سورة الواقعة

وهي مكية

عن ابن عباس قال: قال أبو بكر: يا رسول الله، قد شئت؟ قال: شيتني هود، والواقعة، والمرسلات، وهم يتساءلون، وإذا الشمس كورت. رواه الترمذى وقال: حسن غريب (١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِقَوْمِهَا كَادِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ ﴿٩﴾ وَالسَّيِّفُونَ السَّيِّفُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمَقَرُّونَ ﴿١١﴾ فِي حَشَى النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾

الواقعة: من أسماء يوم القيامة، سميت بذلك لتتحقق كونها ووجودها، كما قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الحاقة: ١٥]. وقوله: ﴿لَيْسَ لِقَوْمِهَا كَادِبَةٌ﴾ أى: ليس لوقوعها - إذا أراد الله كونها - صارف يصرفها، ولا دافع يذفعها، كما قال: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٧]، وقال: ﴿سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ [المعارج: ١، ٢]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلَهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي السُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ٧٣]. ومعنى ﴿كَادِبَةٌ﴾ - كما قال محمد بن كعب: لا بد أن تكون. وقال قتادة: ليس فيها مشنوية ولا ارتداد ولا رجعة.

وقوله: ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ أى: تخفض أرواما إلى أسفل سافلين إلى الجحيم، وإن كانوا فى الدنيا أعزاه، وترفع آخرين إلى أعلى عليين، إلى النعيم المقيم، وإن كانوا فى الدنيا وضعاء. هكذا قال الحسن، وقاتدة وغيرهما. وعن ابن عباس: ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾: تخفض أرواما وترفع آخرين. وقال محمد بن كعب: تخفض رجالا كانوا فى الدنيا مرتفعين، وترفع رجالا كانوا فى الدنيا مخفضين. وقال السدى: خفضت المتكبرين، ورفعت المتواضعين. وقال العوفى، عن ابن عباس: ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾: أسمعت القريب والبعيد. وقال عكرمة: خفضت فأسمعت الأدنى، ورفعت فأسمعت الأقصى. وكذا قال الضحاك، وقاتدة.

وقوله: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ أى: حركت تحريكا فاهترت واضطربت بطولها وعرضها. ولهذا قال ابن عباس، ومجاهد، وقاتدة، وغير واحد فى قوله: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ أى: رزلت رزلا. وقال الربيع بن أنس: ترج بما فيها كرج الغريال بما فيه. وهذه كقوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالًا﴾ [الزلزلة: ١]، وقال تعالى: ﴿بِأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]. وقوله: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾ أى: فُتت فتًا. قاله ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وقاتدة، وغيرهم. وقال ابن زيد: صارت الجبال كما قال تعالى: ﴿كَيْبًا مَهْلًا﴾ [الزلزل: ١٤].

وقوله: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ قال على رضى الله عنه: كرهج الغبار يسطع ثم يذهب، فلا يبقى منه شيء. وقال ابن عباس: الهباء الذى يطير من النار، إذا اضططمت يطير منه الشرر، فإذا وقع لم يكن شيئا. وقال عكرمة: المنبت: الذى ذرته الريح وبثته. وقال قتادة: ﴿هَبَاءٌ مُنْبَثًا﴾: كيبس الشجر الذى تذروه الرياح. وهذه الآية كآخواتها الدالة على زوال الخيال عن أماكنها يوم القيامة، وذهابها وتسييرها ونسفها - أى قلعها - وصيرورتها كالعهن المنفوش.

وقوله: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ أى: ينقسم الناس يوم القيامة إلى ثلاثة أصناف: قوم عن يمين العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم اليمين، ويؤتون كتبهم بأيمانهم، ويؤخذ بهم ذات اليمين. قال السدى: وهم جمهور أهل الجنة. وآخرون عن يسار العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيسر، ويؤتون كتبهم بشمائلهم، ويؤخذ بهم ذات الشمال، وهم عامة أهل النار - عيادا بالله من صنيهم - وطائفة سابقون بين يديه عز وجل، وهم أخص وأحظى وأقرب من أصحاب اليمين الذين هم سادتهم، فيهم الرسل والأنبياء والصديقون والشهداء، وهم أقل عددا من أصحاب اليمين؛ ولهذا قال: ﴿فَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ. وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ. وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. وَهَكَذَا قَسَمَهُمْ إِلَى هَذِهِ الْأَنْوَاعِ الثَّلَاثَةِ فِي آخِرِ السُّورَةِ وَقَدْ احْتَضَرَهُمْ، وَهَكَذَا ذَكَرَهُمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْ ذَكَرَ اللَّهُ﴾ الآية [فاطر: ٣٢]، وذلك على أحد القولين فى الظالم لنفسه كما تقدم بيانه. قال سفيان الثوري عن ابن عباس فى قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ قال: هى التى فى سورة الملائكة: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾. وقال ابن جرير، عن ابن عباس: هذه الأزواج الثلاثة هم المذكورون فى آخر السورة وفى سورة الملائكة. وقال مجاهد: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ يعنى: فرقا ثلاثة. وقال ميمون بن مهران: أفواجا ثلاثة. وقال عثمان بن سراقه: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾: اثنان فى الجنة، وواحد فى النار. روى أحمد عن عائشة، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «أتدرون من السابقون إلى ظل يوم القيامة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «الذين إذا أعطوا الحق، قبلوه، وإذا سئلوه بذلوه، وحكموا للناس كحكمهم لانفسهم» (١). وقال محمد بن كعب وأبو حزرّة يعقوب بن مجاهد: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾: هم الأنبياء، عليهم السلام. وقال السدى: هم أهل عليين. وقال ابن أبي نجیح، عن مجاهد، عن ابن عباس: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ قال: يوشع بن نون، سبق إلى موسى، ومؤمن آل يس، سبق إلى عيسى، وعلى بن أبى طالب، سبق إلى محمد رسول الله ﷺ. وقال ابن سيرين: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾: الذين صلوا للقلبتين. وقال الحسن وقتادة: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾: أى: من كل أمة.

وهذه الأقوال كلها صحيحة، فإن المراد بالسابقين هم المبادرون إلى فعل الخيرات كما أمروا، كما قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَقَرِّكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. وقال: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَعَرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ١٢٢]. فمن سبق إلى هذه الدنيا وسبق إلى الخير، كان فى الآخرة من السابقين إلى الكرامة. فإن الجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ السَّابِقُونَ فِي جَنَاتِ النَّعِيمِ﴾.

﴿ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴾ ﴿ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴾ ﴿ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴾ ﴿ مُشْكِبِينَ عَلَيْهَا مُتَقَنِّلِينَ ﴾ ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴾ ﴿ يَا كُوفٍ وَبَابِلَاقِ وَكَانِسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴾ ﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُرْفُونَ ﴾ ﴿ وَفَكَفَّهُمْ مِمَّا يَتَخَبَّزُونَ ﴾ ﴿ وَلَمْ يَطَّرِ عَلَيْهِمْ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ ﴿ كَأَمْثَلِ الثَّلَاجِ أَلْمُكُونِ ﴾ ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءً وَلَا تَأْتِيًا ﴾ ﴿ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾ ﴿

يقول تعالى مخبراً عن هؤلاء السابقين المقربين أنهم ﴿ثَلَاثَةٌ﴾ أى: جماعة ﴿من الأولين﴾. وقليل من ﴿الآخرين﴾. وقد اختلفوا فى المراد بقوله: ﴿الأولين﴾ و﴿الآخرين﴾. فقيل: المراد بالأولين: الامم الماضية، والآخرين: هذه الأمة. هذا رواية عن مجاهد، والحسن البصرى، وهو اختيار ابن جرير. وهذا الذى اختاره ابن جرير هاهنا، فيه نظر، بل هو قول ضعيف؛ لأن هذه الأمة هى خير الامم بنص القرآن، فيبعد أن يكون المقربون فى غيرها أكثر منها، اللهم إلا أن يقابل مجموع الامم بهذه الأمة. والظاهر أن المقربين من هؤلاء أكثر من سائر الامم، والله أعلم. فالقول الثانى فى هذا المقام هو الراجح، وهو أن يكون المراد بقوله: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أى: من صدر هذه الأمة، ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ أى: من هذه الأمة.

قال عبد الله بن بكر المزنى: سمعت الحسن أتى على هذه الآية: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ فقال: أما السابقون فقد مضوا، ولكن اللهم اجعلنا من أهل اليمين. ثم قرأ الحسن: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ قال: ممن مضى من هذه الأمة. وعن محمد بن سيرين، أنه قال فى هذه الآية: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ. وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ قال: كانوا يقولون، أو يرجون، أن يكونوا كلهم من هذه الأمة. فهذا قول الحسن وابن سيرين أن الجميع من هذه الأمة. ولا شك أن أول كل أمة خير من آخرها، فيحتمل أن يعم الأمر جميع الامم كل أمة بحسبها؛ ولهذا ثبت فى الصحاح وغيرها، من غير وجه، أن رسول الله ﷺ قال: «خير القرون قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» (١) الحديث بتمامه.

فأما الحديث الذى رواه الإمام أحمد عن عمار بن ياسر، قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل أمى مثل المطر، لا يدرى أوله خير أم آخره» (٢)، فهذا الحديث، بعد الحكم بصحة إسناده، محمول على أن الدين كما هو محتاج إلى أول الأمة فى إيلاغه إلى من بعدهم، كذلك هو محتاج إلى القائمين به فى أواخرها، وتثبيت الناس على السنة وروايتها وإظهارها، والفضل للمتقدم. وكذلك الزرع الذى يحتاج إلى المطر الأول وإلى المطر الثانى، ولكن العمدة الكبرى على الأول، واحتياج الزرع إليه أكد، فإنه لولا ما نبت فى الأرض، ولا تعلق أصله فيها؛ ولهذا قال عليه السلام: «لا تزال طائفة من أمى ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم». إلى قيام الساعة». وفى لفظ «حتى يأتى أمر الله وهم كذلك» (٣). والفرص: أن هذه الأمة أشرف من سائر الامم، والمقربون فيها أكثر من غيرها وأعلى منزلة؛ أشرف دينها، وعظم نبيها. ولهذا ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ أنه خير أن فى هذا

(١) البخارى (٣٦٥١)

(٢) المسند (٣١٩/٤)، والترمذى (٢٨٦٩) وقال: «حسن عريب»

(٣) البخارى (٣٦٤١)

الامة سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب. وفي لفظ: «مع كل ألف سبعون ألفا». وفي آخر: «مع كل واحد سبعون ألفا»^(١).

وقوله: «عَلَى سُرْرٍ مُّوَضَّوْنَ» قال ابن عباس: أى مرمولة بالذهب، يعنى: منسوجة به. وكذا قال مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبيرة، وغيرهم. وقال السدى: مرمولة بالذهب واللؤلؤ. وقال عكرمة: مشبكة بالدر والياقوت. وقال ابن جرير: ومنه سمي الناقة الذى تحت بطنها؛ لأنه مضفور، وكذلك السرر فى الجنة مضفورة بالذهب واللاكي. وقال: «مُتَكِّينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ» أى: وجوه بعضهم إلى بعض، ليس أحد وراء أحد. «يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَفَدَانٌ مُّخَلَّدُونَ» أى: مخلدون على صفة واحدة، لا يكبرون عنها ولا يشيرون ولا يتغيرون، «بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ»، أما الاكواب، فهى: الكيزان التى لا خراطيم لها ولا آذان. والاباريق: التى جمعت الورصفين. والكؤوس: الهنابات، والجميع من خمر من عين جارية معين، ليس من أوعية تنقطع وتفرغ، بل من عين سارحة.

وقوله: «لَا يَصْنَعُونَ عَلَيْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ» أى: لا تصدع رؤوسهم ولا تنزف عقولهم، بل هى ثابتة مع الشدة المطرية واللذة الحاصلة. وروى الضحاك، عن ابن عباس أنه قال: فى الخمر أربع خصال: السكر، والصداع، والقىء والبول. فذكر الله خمر الجنة ونزهها عن هذه الخصال. وقال مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبيرة، وعطية، وقتادة، والسدى: «لَا يَصْنَعُونَ عَلَيْهَا» يقول: ليس لهم فيها صداع رأس. وقالوا فى قوله: «وَلَا يَنْزِفُونَ» أى: لا تذهب بعقولهم. وقوله: «وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ». وتلعم طعم مِمَّا يَشْتَهُونَ» أى: ويطوفون عليهم بما يتخيرون من الثمار. وهذه الآية دليل على جواز أكل الفاكهة على صفة التخير لها. روى الإمام أحمد وأبو يعلى عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ تعجبه الرويا، فربما رأى الرجل الرويا فسأل عنه إذا لم يكن يعرفه، فإذا أتى عليه معروف، كان أعجب لروياه إليه. فأنته امرأة فقالت: يا رسول الله، رأيت كائى أتيت فأخرجت من المدينة، فادخلت الجنة فسمعت وجبة انتحبت لها الجنة، فنظرت فإذا فلان ابن فلان، وفلان ابن فلان، فسَمْتُ اثنى عشر رجلا، كان النبى ﷺ قد بعث سرية قبل ذلك، فجىء بهم عليهم ثياب طلس تشخب أوداجهم، فليل: اذهبوا بهم إلى نهر اليبذخ - أو: اليبذخ - قال: فغمسوا فيه، فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر، فاتوا بصحفة من ذهب فيها بسر فأكلوا من بسر ما شاؤوا، فما يقلبونها من وجه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا، وأكلت معهم. فجاء البشير من تلك السرية، فقال: كان من أمرنا كذا وكذا، وأصيب فلان وفلان. حتى عد اثنى عشر رجلا، فدعا رسول الله ﷺ المرأة فقال: «قصى رويك». فقصتها، وجعلت تقول: فجىء بفلان وفلان كما قال. هذا لفظ أبى يعلى، قال الحافظ الضياء: وهذا على شرط مسلم^(٢).

وقوله: «وَتَلْعَمُ طَعْمًا يَشْتَهُونَ» روى الإمام أحمد عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن طير الجنة كأمثال البخت، ترعى فى شجر الجنة». فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن هذه طير ناعمة، فقال: «أكلتها أنعم منها - قالها ثلاثا - وإنى لأرجو أن تكون ممن يأكل منها». تفرد به أحمد من هذا

(١) البخارى (٦٤٧٢).

(٢) المسند (١٣٥/٣) وأبو يعلى فى مسنده (٤٤/٦) (٣٢٨٩). وقال الهيثمى فى الزوائد (١٧٥/٧): «رجاله رجال

الوجه^(١) . وعن انس بن مالك؛ أن رسول الله ﷺ مثل عن الكوثر فقال: «نهر أعطانيه ربي، عز وجل، في الجنة، أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، فيه طيور أعناقها يعنى كأعناق الجزر». فقال عمر: إنها لناعمة. قال رسول الله ﷺ: «أكلها أنعم منها». رواه الترمذى وقال: حسن^(٢).

وقوله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ قرأ بعضهم بالرفع، وتقديره: ولهم فيها حور عِين. وقراءة الجر تحتمل معنيين، أحدهما: أن يكون الإعراب على الاتباع بما قبله؛ لقوله: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ. بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ. لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْفَرُونَ. وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَوَّرُونَ. وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ. وَحُورٌ عِينٌ﴾، كما قال: ﴿وَأَسْحَابُ بَرَّةٍ وَسِكِّمٌ وَارْجُلُكُمُ﴾ [المائدة: ٦٦]، وكما قال: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُفْرٌ وَاسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان: ٢١]. والاحتمال الثاني: أن يكون مما يطوف به الولدان المخلدون عليهم الحور العين، ولكن يكون ذلك في القصور، لا بين بعضهم بعضا، بل في الخيام يطوف عليهم الخدام بالحور العين، والله أعلم.

وقوله: ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ أى: كأنهن اللؤلؤ الرطب فى بياضه وصفائه؛ ولهذا قال: ﴿جِزَاءَ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أى: هذا الذى أعفناهم به مجازاة لهم على ما أحسنوا من العمل. ثم قال: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا نَغْوًا وَلَا نَأْيًا. إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ أى: لا يسمعون فى الجنة كلاما لاغيا، أى: غثا خاليا عن المعنى، أو مشتتلا على معنى حقير أو ضعيف، كما قال: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِغْيَةً﴾ [الغاشية: ١١] أى: كلمة لاغية ﴿وَلَا نَأْيًا﴾ أى: ولا كلاما فيه قبح ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ أى: إلا التسليم منهم بعضهم على بعض، كما قال: ﴿نَجِيَّتِهِمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣] وكلامهم أيضا سالم من اللغو والإثم.

﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿١﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٣﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿٤﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٥﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٦﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٧﴾ وَفُرُشٍ مَّرْوَعَةٍ ﴿٨﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنشَاءً ﴿٩﴾ فَعَلَّمْنَهُمْ آبْكَارًا ﴿١٠﴾ عَرُبًا آثَرًا ﴿١١﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

لما ذكر تعالى مال السابقين - وهم المقربون - عطف عليهم بذكر أصحاب اليمين - وهم الأبرار - كما قال ميمون بن مهران: أصحاب اليمين منزلة دون المقربين، فقال: ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ أى: أى شيء أصحاب اليمين؟ وما حالهم؟ وكيف مالهم؟ ثم فسّر ذلك فقال: ﴿ لِمِ سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾ قال ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وغيرهم: هو الذى لا شوك فيه. وعن ابن عباس: هو الموقر بالثمر. وهو رواية عن عكرمة، ومجاهد. وكذا قال قتادة أيضا: كنا نحدث أنه الموقر الذى لا شوك فيه. والظاهر أن المراد هذا وهذا؛ فإن سدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر، وفى الآخرة على عكس من هذا، لا شوك فيه، وفيه الثمر الكثير الذى قد أثقل أصله. عن سليم بن عامر قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إن الله لينفعا بالأعراب ومسائلهم؛ قال: أقبل أعرابى يوماً فقال: يا رسول الله، ذكر الله فى الجنة شجرة تؤذى صاحبها؟ فقال رسول الله ﷺ: « وما هى؟ » قال: السدر، فإن له شوكا مؤذيا، فقال رسول الله ﷺ: « أليس الله يقول: ﴿ لِمِ سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾،

(١) المسند (٢٢١/٣) وقال الهيثمى فى الزوائد (٤١٧/١٠): رجاله رجال الصحيح غير سيار بن حاتم وهو ثقة.

(٢) الترمذى (٢٥٤٢).

خَصَّدَ اللهُ شوكه ، فجعل مكان كل شوكه ثمرة ، فإنها لتنبت ثمراً تفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لوتاً من طعام ، ما فيها لون يشبه الآخر ^(١) .

وعن عتبة بن عبد السلمي قال : كنت جالساً مع رسول الله ﷺ ، فجاء أعرابي فقال : يا رسول الله ، اسمعتك تذكر في الجنة شجرة لا أعلم شجرة أكثر شوكاً منها ؟ يعني : الطلح ، فقال رسول الله ﷺ : « إن الله يجعل مكان كل شوكه منها ثمرة مثل خصوة التيس الملبود ، فيها سبعون لوتاً من الطعام ، لا يشبه لون آخر » ^(٢) .

وقوله : ﴿ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴾ الطلح : شجر عظام يكون بأرض الحجاز ، من شجر العصاه ، واحدته طلحة ، وهو شجر كثير الشوك ، قال مجاهد : ﴿ مَنْضُودٌ ﴾ أى : متراكم الثمر ، يذكر بذلك قريشاً ، لأنهم كانوا يحبون من وج ، وظلاله من طلع وسدر . وقال السدى : ﴿ مَنْضُودٌ ﴾ : مصفوف . قال ابن عباس : يشبه طلع الدنيا ، ولكن له ثمر أحلى من العسل . قال الجوهرى : والطلح لغة فى الطلع . وعن أبى سعيد : ﴿ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴾ قال المور : قال : وروى عن ابن عباس ، وأبى هريرة ، والحسن ، وعكرمة ، وقسامة بن زهير ، وقتادة ، وأبى حزرة ، مثل ذلك ، وبه قال مجاهد ، وابن زيد . وزاد فقال : أهل اليمن يسمون المور الطلح . ولم يحك ابن جرير غير هذا القول .

وقوله : ﴿ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴾ روى البخارى عن أبى هريرة - يبلغُ به النبي ﷺ - قال : « إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها ، اقرؤوا إن شئتم : ﴿ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴾ » . ورواه مسلم ^(٣) . وروى الإمام أحمد عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة ، اقرؤوا إن شئتم : ﴿ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴾ » . وكذا رواه البخارى ، وعبد الرزاق والترمذى ^(٤) . وروى الحافظ أبو يعلى الموصلى عن أنس ، عن النبي ﷺ فى قول الله عز وجل : ﴿ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴾ ، قال : « فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها » . وكذا رواه البخارى ^(٥) . وقد أخرج البخارى ومسلم من حديث أبى سعيد وسهل بن سعد ، عن رسول الله ﷺ قال : « إن فى الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها » ^(٦) . فهذا حديث ثابت عن رسول الله ﷺ ، بل متواتر مقطوع بصحته عند أئمة الحديث النقاد ، لتمدد طرقه ، وقوة أسانيد ، وثقة رجاله . فقد أبطل من يكذب بهذا الحديث ، مع ثبوته وصحته ورفعته إلى رسول الله ﷺ . وروى الترمذى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما فى الجنة شجرة إلا ساقها من ذهب » . ثم قال : حسن غريب ^(٧) . وقال الضحاك ، والسدى فى قوله : ﴿ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴾ : لا ينقطع ، ليس فيها شمس ولا حر ، مثل قبل طلوع الفجر . وقال ابن مسعود : الجنة سجاج ، كما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس . وقد تقدمت الآيات كقولها : ﴿ وَتَدْخُلُهُمْ ظِلًّا ظِلِيلًا ﴾ [النساء : ٥٧] ، وقوله : ﴿ أَكَلْهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ﴾

(١) رواه الحاكم فى المستدرک (٤٧٦/٢) عن سليم بن عامر عن أبى أمامة . وقال : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » .

(٢) الطبرانى الكبير (١٧ / ١٣٠ - ٣١٨) وقال الهيثمى فى الزوائد (٤٤٧/١٠٠) : « رجاله رجال الصحيح » .

(٣) البخارى (٤٨٨١) ومسلم (٦/٢٨٢٦) .

(٤) ابن عبد البر (١٠٢٠٨) والبيهقى (٣٢٥٢) والترمذى (٣٢٩٢) وعبد الرزاق فى مصنفه (٢٠٨٧٧) .

(٥) أبو يعلى فى مسنده (٢٣٧/٢٩٩٢) والبخارى (٣٢٥١) ، وفى مسند أبى يعلى : « كان فى كتاب أبى يعلى ألف عام » .

(٦) البخارى (٦٥٥٢ ، ٥٥٣) . مسلم (٨/٢٨٢٨ ، ٢٨٢٧) .

(٧) الترمذى (٢٥٢٥) وصححه الألبانى .

[الرمع: ٣٥] ، وقوله : ﴿ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴾ [المرسلات: ٤١] إلى غير ذلك من الآيات .

وقوله : ﴿ وَمَاءٌ مَكُوبٌ ﴾ قال الثوري : يجرى في غير أخدود . وقد تقدم الكلام عند تفسير قوله تعالى : ﴿ لِيَهَيَّأَنَّهَا مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾ الآية [محمد: ١٥] ، بما أغنى عن إعادته هاهنا . وقوله : ﴿ وَوَلَقَدْ كَفَّرْنَا عَنْ قَوْمِكَانَانَ إِذْ كَانُوا عَلَىٰ قَلْبٍ بَشَرٍ ﴾ ، ﴿ كَلَّمَا رَزَقُوا مِنْهَا مِنْ نَمْرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ مِثْلَهَا ﴾ [البقرة: ٢٥] : أى : يشبه الشكلُ الشكلَ ، ولكن الطعام غيرُ الطعام . وفي الصحيحين في ذكر سدرة المنتهى قال : « فإذا ورقها كأذان الفيلة ونيقها مثل قلالِ حجر » (١) . وفيها أيضاً عن ابن عباس قال : حُصِفَت الشمس ، فصلى رسولُ الله ﷺ والناس معه ، فذكر الصلاة . وفيه : قالوا : يا رسول الله ، رأيناك تناولت شيئاً في مقامك هذا ، ثم رأيناك تكلمت . قال : « إني رأيت الجنة ، فتناولت منها عقوداً ، ولو أخذته لاكلتم منه ما بقيت الدنيا » (٢) . وروى الحافظ أبو يعلى عن جابر قال : بينا نحن في صلاة الظهر ، إذ تقدم رسولُ الله ﷺ فتقدمنا معه ، ثم تناول شيئاً ليأخذه ثم تأخر ، فلما قضى الصلاة قال له أبيُّ بن كعب : يا رسول الله ، صنعت اليوم في الصلاة شيئاً ما كنت تصنعه ؟ قال : « إنه عُرِضَتْ عَلَيَّ الجنة ، وما فيها من الزهرة والنُفُرة ، فتناولت منها قطعاً من عنب لآتيكم به ، فحِيلَ بيني وبينه ، ولو آتيتكم به لاكل منه من بين السماء والأرض لا يتقصونه » . وروى مسلم نحوه (٣) . وروى الإمام أحمد عن عامر بن زيد البكالي : أنه سمع عتبة بن عبد السلمي يقول : جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ ، فسأله عن الحوض وذكر الجنة ، ثم قال الأعرابي : فيها فاكهة ؟ قال : « نعم ، وفيها شجرة تدعى طوبى » ، فذكر شيئاً لا أدري ما هو ، قال : أى شجر أرضنا تشبه ؟ قال : « ليست تشبه شيئاً من شجر أرضك » . فقال النبي ﷺ : « آتيت الشام ؟ » قال : لا . قال : « تشبه شجرة بالشام تدعى الجورة ، تنبت على ساق واحد ، وينفرش أعلاها » . قال : ما عظم أصلها ؟ قال : « لو ارتحلت جذعة من إبل أهلك ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر رقوقتها هراً » . قال : فيها عنب ؟ قال : « نعم » . قال : فما عظم العنقود ؟ قال : « مسيرة شهر للغراب الأبقع ، ولا يفتقر » . قال : فما عظم الحبة ؟ قال : « هل ذبعب أبوك تيساً من غنمه قط عظيماً ؟ » قال : نعم . قال : « فسلخ إهابه فأعطاه أمك ، فقال : اتخذني لنا منه دلوأ ؟ » . قال : نعم . قال الأعرابي : فإن تلك الحبة لتشبعني وأهل بيتي ؟ قال : « نعم وعامة عشيرتك » (٤) .

وقوله : ﴿ لَا مَقْطُوعَةٌ وَلَا مُتَوَعِّجَةٌ ﴾ : أى : لا تنقطع شتاء ولا صيفاً ، بل أكلها دائم مستمر أبداً ، مهما طلبوا وجدوا ، لا يمتنع عليهم بقدره الله شيء . وقال قتادة : لا يمنعهم من تناولها عودٌ ولا شوكٌ ولا بعدٌ . وقوله : ﴿ وَفَرُشٌ مُرْفُوعَةٌ ﴾ : أى : عالية وطيبة ناعمة . وقوله : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً . فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا . غُرُبًا أَتْرَابًا . لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ : جرى الضمير على غير مذكور . لكن لما دل السياق ، وهو ذكر الفرش ، على النساء اللاتي يضاجمن فيها ، اكتفى بذلك عن ذكرهن ، وعاد الضمير عليهن ،

(١) البخارى (٣٢٠٧) ومسلم (٢٥٩/١٦٢) . (٢) البخارى (١٠٥٢) ومسلم (١٧/٩٠٧) .

(٣) انظر : مسلم (٩٠٧) .

(٤) السنن (١٨٣/٤) وقال الهيثمى في الروائد (٤١٦/١٠) : « فيه عامر بن زيد البكالي وقد ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه ولم يوثقه وبقية رجاله ثقات » .

كما في قوله : ﴿ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْفِئَةِ الصَّافِيَاتُ الْجِبَادُ . فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ [ص: ٣١ ، ٣٢] . معنى : الشمس ، على المشهور من قول المفسرين . قال الأخفش في قوله : ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْسَاءً ﴾ : أضمرهن ولم يذكرهن قبل ذلك . وقال أبو عبيدة : ذكرن في قوله : ﴿ وَحُورٌ مِّمَّنْ . كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾ [الواقعة: ٢٢ ، ٢٣] .

فقوله : ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ ﴾ أى : أعدناهن في النشأة الأخرى بعدما كُنَّ عَجَائِزَ رُصَمَاءَ ، صرنا إِبْكَارًا عَرَبِيًّا ، أى : بعد الثبوتية عدن إِبْكَارًا عَرَبِيًّا ، أى : متحبات إلى أزواجهن بالحلاوة والظرافة والملاحة . وقال بعضهم : ﴿ عَرَبِيًّا ﴾ أى : غَنَجَاتٌ . وفى حديث الصور الطويل المشهور : أن رسول الله ﷺ يشفع للمؤمنين كلهم فى دخول الجنة فيقول الله : قد شفعتك وأذنت لهم فى دخولها . فكان رسول الله ﷺ يقول : « والذى بعثنى بالحق ، ما أنتم فى الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم ، فيدخل الرجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة ، سبعين مما ينشئ الله ، وثلثين من ولد آدم ، لهما فضل على من أنشأ الله ، بعبادتهما الله فى الدنيا ، يدخل على الأولى منهما فى غرفة من ياقوتة ، على سرير من ذهب مَكْمَلٌ باللؤلؤ ، عليه سبعون زوجاً من سُنْدُسٍ وإستبرق وإنه ليضع يده بين كتفيها ، ثم ينظر إلى يده من صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها ، وإنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك فى قصبة الياقوت ، كبده لها مرآة - معنى : وكبدها له مرآة - فبينما هو عندها لا يملها ولا تمل ، ولا يأتياها من مرة إلا وجدها عذراء ، ما يفتر ذكره ولا تشتكى قبلها إلا أنه لا منى ولا منية ، فبينما هو كذلك إذ نودى : إنا قد عرفنا أنك لا تمل ولا تمل ، إلا أن لك أزواجاً غيرها ، فيخرج ، فيأتيهن واحدة واحدة ، كلما جاء واحدة قالت : والله ما فى الجنة شيء أحسن منك ، وما فى الجنة شيء أحب إلى منك » (١) .

وروى أبو داود الطيالسى عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « يعطى المؤمن فى الجنة قوة كذا وكذا فى النساء » . قلت : يا رسول الله ، ويُطيق ذلك ؟ قال : « يعطى قوة مائة » . ورواه الترمذى وقال : صحيح غريب (٢) . وروى أبو القاسم الطبرانى عن أبى هريرة قال : قيل : يا رسول الله ، هل تصل إلى نساتنا فى الجنة ؟ قال ﷺ : « إن الرجل ليصل فى اليوم إلى مائة عذراء » (٣) . قال الحافظ أبو عبد الله المقدسى : هذا الحديث عندي على شرط الصحيح ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ عَرَبِيًّا ﴾ قال سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : معنى متحبات إلى أزواجهن ، ألم تر إلى الناقة الضبعة ، هى كذلك . وقال الضحاك ، عن ابن عباس : العَرَبُ : العواشق لأزواجهن ، وأزواجهن لهن عاشقون . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وغيرهم . وعن عكرمة قال : سئل ابن عباس عن قوله : ﴿ عَرَبِيًّا ﴾ قال : هى الملقاة لزوجها . وعن عكرمة : هى الغنجة . وقال زيد بن أسلم ، وابنه عبد الرحمن : العَرَبُ : حسان الكلام . وقوله : ﴿ أَنْزَابًا ﴾ قال ابن عباس : معنى : فى سن واحدة ، ثلاث وثلثين سنة . وقال مجاهد : الأتراب : المستويات . وفى رواية عنه : الأشتال .

(١) مضى عند تفسير الآية (٣٧) من سورة الأنعام ، ونخبرجه هناك .

(٢) أبو داود فى سننه (٢٠١٢) والترمذى (٢٥٣٦) .

(٣) للروض الدانى (٦٨/٢) (٧٩٥) وقال الهيثمى فى الزوائد (١٠/٤٢٠) : «ورجال هذه الرواية رجال الصحيح غير محمد ابن ثوبان وهو ثقة» .

وقال عطية : الاقران . وقال السدى : ﴿أَثْرَابًا﴾ أى : فى الاخلاق المتواخيات بينهم ، ليس بينهم تباعض ولا تحاسد ، معنى : لا كما كن فى الدنيا ضرائر متعاديات . وقوله : ﴿ لأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ أى : خلقنا لأصحاب اليمين ، أو : ادخرن لأصحاب اليمين ، أو : زوجن لأصحاب اليمين . والأظهر أنه متعلق بقوله : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً . فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا . غُرْبًا أَثْرَابًا . لأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ ، فتقديره : أنشأناهن لأصحاب اليمين . وهذا توجيه ابن جرير .

قلت : ويحتمل ان يكون قوله : ﴿ لأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ متملقاً بما قبله ، وهو قوله : ﴿ أَثْرَابًا . لأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ أى : فى أسنانهم . كما جاء فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين يلونهم على ضوه أشد كوكب درى فى السماء إضاءة ، لا يبولون ولا يتغوطون ، ولا يتفلون ، ولا يتمخطون ، أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك ، ومجامرهم الآلوة ، وأرواجهم الحور العين ، أخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ، ستون ذراعاً فى السماء » (١) . وروى الإمام أحمد عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مردأً أيضاً جماداً مكحلين ، أبناء ثلاث وثلاثين ، وهم على خلق آدم ستون ذراعاً فى عرض سبعة أذرع » (٢) . وروى الترمذى عن معاذ بن جبل : ان رسول الله ﷺ قال : « يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مردأً مكحلين أبناء ثلاثين ، أو ثلاث وثلاثين سنة » . ثم قال : حسن غريب (٣) .

وقوله : ﴿ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى . وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴾ أى : جماعة من الاولين ، وجماعة من الآخرين . عن عبد الله بن مسعود ، قال - وكان بعضهم يأخذ عن بعض : أكرينا ذات ليلة عند رسول الله ﷺ ثم غدونا عليه ، فقال : « عُرِضَتْ عَلَى الْأَنْبيَاءِ وَاتَّبَاعِهَا بِأَمْعَاهَا ، فِيمر عَلَى النَّبِىِّ ، وَالنَّبِىِّ فِى الْعَصَابَةِ ، وَالنَّبِىِّ فِى الثَّلَاثَةِ ، وَالنَّبِىِّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ - وَتَلَا قِتَادَةَ هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾ [هود : ٧٨] - قال : حتى مرَّ عَلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ فِى كَبْكَبَةٍ مِنْ بَنَى إِسْرَائِيلَ ، قَالَ : « قُلْتُ : رَبِّى ، مَنْ هَذَا ؟ . قال : هذا اخوك موسى بن عمران ومن معه من بنى إسرائيل » . قال : « قلت : رب ، فأين أمتى ؟ قال : انظر عن يمينك فى الطراب » . قال : « فإذا وجوه الرجال » . قال : « قلت : قد رضيت ، رب » . قال : انظر إلى الاقن عن يسارك . فإذا وجوه الرجال . قال : أرضيت؟ قلت : رضيت ، رب » . قال : فإن مع هؤلاء سبعين ألفاً ، يدخلون الجنة بغير حساب » . قال : وأنشأ عكاشة بن محصن من بنى أسد - قال سعيد : وكان بَدْرِيًّا - قال : يا نبى الله ، ادع الله أن يجعلنى منهم . قال : فقال : « اللهم اجعله منهم » . قال : أنشأ رجل آخر ، قال : يا نبى الله ، ادع الله أن يجعلنى منهم . فقال : « سبقك بها عكاشة » . قال : فقال رسول الله ﷺ : « فإن استطعتم - فداكم أبى وأمى - أن تكونوا من أصحاب السبعين فافعلوا ، وإلا فكونوا من أصحاب الطراب ، وإلا فكونوا من أصحاب الاقن ، فإنى قد رأيت ناساً كثيراً قد تأسبوا حوله » . ثم قال : « إنى

(١) البخارى (٣٣٢٧) ومسلم (٢٨٣٤ / ١٥) .

(٢) المسند (٧٩٢٠) وقال الشيخ شاکر : « إنساده صحيح » . قوله : « جماداً » : هو بكسر الجيم وفتح العين المهملة مخففة ، جمع « جمد » وهو الذى شعره غير بسيط ، وهى صفة مدح ؛ لان جمود الشجر هى الصفة الغالبة على شعور العرب . وسبوطه هى الغالبة على شعور المعجم من الروم والفرس وأمثالهم من الاعاجم .

(٣) الترمذى (٢٥٤٥) .

لأرجو أن تكونوا ريع أهل الجنة » . فكبرنا ، ثم قال : « إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة » . قال: فكبرنا ، قال : « إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة » . قال : فكبرنا . ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ . وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴾ . قال: فقلنا بيئنا : من هؤلاء السبعون ألفاً ؟ قلنا: هم الذين ولدوا في الإسلام ، ولم يشركوا . قال : فبلغه ذلك ، فقال: « بل هم الذين لا يكونون ولا يشترقون ولا يتطهرون ، وعلى ربهم يتوكلون » . وروى ابن جرير نحوه (١) . وهذا الحديث له طرق كثيرة من غير هذا الوجه في الصحاح وغيرها (٢) .

﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مِمَّا أَحْتَضِبُ الشِّمَالِ ﴾ فِي سُورَةِ وَحْمِيمٍ ﴿ وَيَطَّلِعُ مِنَ يَحْمُومٍ ﴾ لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ ﴿ أَيُّدَا مِنَّا وَكُنَّا شُرَابًا وَعِظَامًا أَوْنَا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أُنثِيَ الصَّالُونَ الْمَكِيدُونَ ﴿ لَا كَلِمَ مِن شَجَرٍ مِّن زُكْرٍ ﴿ قَالُوا مِنَّا الْبُطُونَ ﴾ فَتَشْرَبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْعَمِيمِ ﴿ فَتَشْرَبُونَ شُرْبَ الْعَمِيرِ ﴿ هَذَا تَرْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

لما ذكر تعالى حال أصحاب اليمين ، عطف عليهم بذكر أصحاب الشمال، فقال: ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مِمَّا أَحْتَضِبُ الشِّمَالِ ﴾ أى : أى شيء هم أصحاب الشمال ؟ ثم فسّر ذلك فقال : ﴿ فِي سُورَةِ وَحْمِيمٍ ﴾ وهو : الهواء الحار ﴿ وَحْمِيمٍ ﴾ وهو : الماء الحار ﴿ وَيَطَّلِعُ مِنَ يَحْمُومٍ ﴾ قال ابن عباس : ظل الدخان . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة والسدي، وغيرهم . وهذه كقوله تعالى : ﴿ انظروا إلى ما كنتم به تكذبون . انظروا إلى ظل ذي ثلاث شعب . لا ظليل ولا يُغيى من الذهب . إنها ترمى بشرر كالفصر . كأنه جمالة صفر . ويل يومئذ للكافرين ﴾ [المرسلات: ٢٩-٣٤] ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ وَيَطَّلِعُ مِنَ يَحْمُومٍ ﴾ وهو الدخان الأسود ﴿ لا بارد ولا كريم ﴾ أى : ليس طيب الهبوب ولا حسن المنظر ، كما قال الحسن وقتادة : ﴿ ولا كريم ﴾ أى : ولا كريم المنظر . وقال الضحاك : كل شراب ليس بعذب فليس بكريم .

ثم ذكر تعالى استحقاقهم لذلك ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ أى : كانوا فى الدار الدنيا منعمين مقبلين على لذات أنفسهم ، لا يلوون على ما جاءتهم به الرسل . ﴿ وَكَانُوا يُصِرُّونَ ﴾ أى : يُصْتَمِرُونَ ولا يتوبون توبة ﴿ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴾ وهو الكفر بالله ، وجعل الأوثان والانداد أرباباً من دون الله . قال ابن عباس : ﴿ الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴾ : الشرك . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة، وقتادة ، وغيرهم . وقال الشعبي : هو اليمين الغموس . وكانوا يقولون : ﴿ أَيُّدَا مِنَّا وَكُنَّا شُرَابًا وَعِظَامًا أَوْنَا لَمَبْعُوثُونَ . أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴾ ؟ يعنى : أنهم يقولون ذلك مكذبين به مستبدين لوقوعه ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ أى : أخبرهم يا محمد أن الأولين والآخرين من بنى آدم سيجمعون إلى عرصات القيامة ، لا تغادر منهم أحداً ، كما قال : ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مُّجْمَعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ . وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ . يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمَنْ شَاءَ فَسَعِدْ ﴾ [هود: ١٠٣-١٠٥] .

ولهذا قال هاهنا : ﴿ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أى : هو موقت بوقت مُحدد، لا يتقدم ولا يتأخر، ولا يزيد ولا ينقص .

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنتُمُ الصَّالِحُونَ الْمَكْدُوبُونَ . لَأَكْلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ . فَمَأْتُونَهَا بِالطُّونِ ﴾ : وذلك أنهم يقبضون وَيُسْجِرُونَ حتى يأكلوا من شجر الزقوم ، حتى يملؤوا منها بطونهم ، ﴿ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ . فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ ﴾ وهى الإبل العطاش ، واحدها هيم ، والآنسى هيماء ، ويقال : هائم وهائمة . قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة : الهيم : الإبل العطاش الظماء . وعن عكرمة أنه قال : الهيم : الإبل المراض ، تمص الماء مصاً ولا تروى . وقال السدى : الهيم : داء يأخذ الإبل فلا تروى أبداً حتى تموت ، فكذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبداً .

ثم قال تعالى : ﴿ هَذَا نَزَّلْنَاهُ بِحَقِّ الْحَقِّ ﴾ أى : هذا الذى وصفنا هو ضيافتهم عند ربهم يوم حسابهم ، كما قال فى حق المؤمنين : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ [الكهف: ١٠٧] أى : ضيافة وكرامة .

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾ ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾ ﴿ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ ﴿ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ ﴿ عَلَىٰ أَنْ يُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئْكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾

يقول تعالى مُقرراً للمعاد، وراداً على المكذبين به من أهل الزيف والإلحاد، من الذين قالوا : ﴿ أفئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون ﴾ [الصفات: ١٦] ، وقولهم ذلك صدر منهم على وجه التكذيب والاستبعاد، فقال : ﴿ نحنُ خلقناكم ﴾ أى : نحن ابتدأنا خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً، أفليس الذى قدر على البداء بقادر على الإعادة بطريق الأولى والأخرى ؛ فلهذا قال : ﴿ فلولاً تصدقون ﴾ أى : فهلا تصدقون بالبعث ! ثم قال مستدلاً عليهم بقوله : ﴿ أفرايتم ما تُمنون . أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ﴾ أى : أنتم تقرونه فى الأرحام وتخلقونه فيها، أم الله الخالق لذلك ؟ ثم قال : ﴿ نحنُ قدرنا بينكم الموت ﴾ أى : صرفناه بينكم . وقال الضحاك : ساوى فيه بين أهل السماء والأرض .

﴿ وما نحن بمسبوقين ﴾ أى : وما نحن بماجزين ﴿ على أن يُبدل أمثالكم ﴾ أى : نغير خلقكم يوم القيامة ، ﴿ وننشئكم فى ما لا تعلمون ﴾ أى : من الصفات والأحوال .

ثم قال : ﴿ ولقد علمتمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ أى : قد علمتم ان الله أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً ، فخلقكم وجعل لكم السمع والابصار والافتدة ، فهلا تتذكرون وتعرفون أن الذى قدر على هذه النشأة - وهى البداء - قادر على النشأة الأخرى ، وهى الإعادة بطريق الأولى والأخرى ، وكما قال : ﴿ وهو الذى بدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾ [الروم: ٢٧] ، وقال : ﴿ أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ﴾ [مریم: ٦٧] ، وقال : ﴿ أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾ [يس: ٧٧-٧٩] ، وقال تعالى : ﴿ أهبسب الإنسان أن يترك سدى . ألم يك نطفة من مئى مئى . ثم كان علقة لعلق لسوى . فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى . أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ﴾ ؟ [القيامة: ٣٦-٤٠] .

﴿ أَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ ﴿ ١ ﴾ ءَأَنْتُمْ تَرْزَعُونَهُ ۚ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿ ٢ ﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حِطَامًا فَظَلَمْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿ ٣ ﴾ إِنَّا لَمُعْرِضُونَ ﴿ ٤ ﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿ ٥ ﴾ أَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿ ٦ ﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ السَّمَاءِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿ ٧ ﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ نَارًا لَوَلَّوْنَا أَنفُسَكُم مَّا تَشْكُرُونَ ﴿ ٨ ﴾ أَرَأَيْتُمْ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿ ٩ ﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿ ١٠ ﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرًا وَرَمَتْنَاهَا لِلْمُقْوِينَ ﴿ ١١ ﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿ ١٢ ﴾

يقول تعالى : ﴿ أَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ ؟ وهو شق الأرض وإثارتها والبذر فيها ﴿ أَلَيْسَ تَرْزَعُونَهُ ؟ ﴾ أى : تثبتونه فى الأرض ﴿ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ أى : بل نحن الذين نقره قراره وننبتة فى الأرض . وقوله : ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حِطَامًا ﴾ أى : نحن أنبتناه بلطفنا ورحمتنا ، وأبقيناه لكم رحمة بكم ، ولو نشاء لجعلناه حطاماً ، أى : لا ييسناه قبل استوائه واستحصاده ، ﴿ فَظَلَمْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾ . ثم فسر ذلك بقوله : ﴿ إِنَّا لَمُعْرِضُونَ ﴾ . بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿ ٥ ﴾ أى : لو جعلناه حطاماً لظَلَمْتُمْ تفكّهون فى المقالة ، تنوعون كلامكم ، فتقولون تارة : ﴿ إِنَّا لَمُعْرِضُونَ ﴾ أى : لَمَلْقُونَ . وقال مجاهد ، وعكرمة : إنا لمولع بنا . وقال قتادة : معذبون . وتارة تقولون : بل نحن محرومون . وقال مجاهد أيضاً : ﴿ إِنَّا لَمُعْرِضُونَ ﴾ ملقون للشر ، أى : بل نحن مُحَارِقُونَ ، قاله قتادة ، أى : لا يثبت لنا مال ، ولا ينتج لنا ربح . وقال مجاهد : ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ أى : محلودون ، معنى : لا حظ لنا . قال ابن عباس ، ومجاهد : ﴿ فَظَلَمْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾ : تمجبون . وقال مجاهد أيضاً : تفجعون وتحزنون على ما فاتكم من رزقكم . وهذا يرجع إلى الأول ، وهو التعجب من السبب الذى من أجله أصيبوا فى مالهم . وهذا اختيار ابن جرير . وقال عكرمة : ﴿ فَظَلَمْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾ : تلامون . وقال الحسن ، وقاتدة ، والسدى : تندمون . ومعناه إما على ما انفقتم ، أو على ما أسلفتم من الذنوب .

ثم قال تعالى : ﴿ أَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴾ . أَلَيْسَ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ السَّمَاءِ ؟ قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد ﴿ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴾ يقول : بل نحن المنزلون . ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ نَارًا لَوَلَّوْنَا أَنفُسَكُم مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ أى : فهلا تشكرون نعمة الله عليكم فى إنزاله المطر عليكم عذبا رالاً ! ﴿ لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجْرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ . بُنِيَتْ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعُ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلُ وَالْأَعْنَابُ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿ [النحل : ١٠ ، ١١] .

ثم قال : ﴿ أَرَأَيْتُمْ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴾ أى : تقدحون من الزناد ، وتستخرجونها من أصلها ، ﴿ أَلَيْسَ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴾ أى : بل نحن الذين جعلناها مودعة فى موضعها ، وللغرب شجرتان ، إحداهما : المرح ، والأخرى : العفّار ، إذا أخذ منهما غصنان أخضران ، فحك أحدهما بالآخر ، تناثر من بينهما شرر النار . وقوله : ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرًا ﴾ : قال مجاهد ، وقاتدة : أى تُذَكِّرُ النَّارَ الكبرى . روى الإمام أحمد فى مسنده : عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ : « إِنْ نَارِكُمْ هَذِهِ جِزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جِزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ ، وَضُرِبَتْ بِالْبَحْرِ مَرَّتَيْنِ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا مَنَفْعَةً لِأَحَدٍ » (١) . وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « نَارُ بَنِي آدَمَ الَّتِي يوقِدُونَ جِزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جِزْءًا مِنْ نَارِ

جهنم . فقالوا : يا رسول الله ، إن كانت لكافية . فقال : « إنها فضلت عليها بسبعة وستين جزءاً » . رواه البخارى ومسلم وفى لفظ : « الذى نفسى بيده ، لقد فضلتُ عليها بسبعة وستين جزءاً ، كلهن مثل حرها » (١) . وروى الطبرانى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « اندرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم ؟ لهن أشد سواداً من ناركم هذه بسبعين ضعفاً » (٢) . قال الضياء المقدسى : وهو عندى على شرط الصحيح .

وقوله : ﴿ وَمَتَاعًا لِلْمُقْرَبِينَ ﴾ قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، والنضر بن عيسى : يعنى بالمقربين : المسافرين ، واختاره ابن جرير . وقال غيره : القى والقواء : القفر الخالى البعيد من العمران . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : المقوى هنا الجائع . وقال ليث بن أبى سليم ، عن مجاهد : ﴿ وَمَتَاعًا لِلْمُقْرَبِينَ ﴾ : للحاضر والمسافر ، لكل طعام لا يصلحه إلا النار . وقال ابن أبى نجيب ، عن مجاهد قوله : ﴿ لِلْمُقْرَبِينَ ﴾ : المستمتعين ، الناس أجمعين . وكذا ذكر عن عكرمة . وهذا التفسير أعم من غيره ، فإن الحاضر والبادى من غنى وفقير ، الجميع محتاجون للطبخ والاصطلاء والإضاءة وغير ذلك من المنافع . ثم من لطف الله تعالى أن أودعها فى الاحجار ، وخالص الحديد ، بحيث يتمكن المسافر من حمل ذلك فى متاعه وبين ثيابه ، فإذا احتاج إلى ذلك فى منزله أخرج زنده وأورى ، وأوقد ناره فاطبخ بها واصطلى ، واشتوى واستانس بها ، وانتفع بها سائر الانتفاعات . فلهذا أفرد المسافرون وإن كان ذلك عاماً فى حق الناس كلهم . وقد يستدل له بما رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث أبى خديش حبان بن زيد الشَّرَعِي الشَّامِي ، عن رجل من المهاجرين من قَرْن ، أن رسول الله ﷺ قال : « المسلمون شركاء فى ثلاثة : النار والكلأ والماء » (٣) . وروى ابن ماجه بإسناد جيد عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاث لا يُمنعن : الماء والكلأ والنار » (٤) .

وقوله : ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ أى : الذى بقدرته خلق هذه الاشياء المختلفة المتضادة : الماء العذب الزلال البارد ، ولو شاء لجمعه ملحاً أجاجاً كالبحار المفرقة . وخلق النار المحرقة ، وجعل ذلك مصلحة للعباد ، وجعل هذه منفعة لهم فى معاش دنياهم ، وراجراً لهم فى المعاد .

ربيع

﴿ فَلَا أَسْمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ وَإِنَّهُ لَفَسَّرَ لَوْ تَمَلَّوْنَ عَظِيمٌ ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿ وَتَجْمَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿ ﴾

هذا قسم من الله عز وجل ، يقسم بما شاء من خلقه ، وهو دليل على عظمته . ثم قال بعض المفسرين : « لا » هاهنا زائدة ، وتقديره : أقسم بمواقع النجوم . ورواه ابن جرير ، عن سعيد بن جبير . ويكون جوابه : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ . وقال آخرون : ليت « لا » زائدة لا معنى لها ، بل يؤتى بها فى أول القسم إذا كان مقسماً به على منفى ، وتقدير الكلام : لا أقسم بمواقع النجوم ليس الأمر كما زعمتم فى القرآن أنه سحر أو كهانة ، بل هو قرآن كريم . وقال ابن جرير : وقال بعض أهل العربية : معنى

(١) البخارى (٣٢٦٥) ومسلم (٢٨٤٣/٣٠) .

(٢) الطبرانى فى الأوسط (١٥٥/١) (٤٨٥) وقال الهيثمى فى الزوائد (٣٩٠/١٠) : « رجاله رجال الصحيح » .

(٣) السنن (٣٦٤/٥) وأبو داود (٣٤٧٧) وصححه الألبانى . (٤) ابن ماجه (٢٤٧٣) .

قوله : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ ﴾ : فليس الأمر كما تقولون ، ثم استأنف القسم بعد فقيل : أقسم .

واختلفوا في معنى قوله : ﴿ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ ، فقال ابن عباس : نزل القرآن جملة من عند الله من اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا ، فنجمته السفرة على جبريل عشرين ليلة ، ونجمه جبريل على محمد ﷺ عشرين سنة ، فهو قوله : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ : نجوم القرآن . وكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، والسدى . وقال مجاهد أيضا : ﴿ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ في السماء ، ويقال : مطالعها ومشارقتها . وكذا قال الحسن ، وقناة ، وهو اختيار ابن جرير . وعن قتادة : مواضعها : منارلها . وعن الحسن أيضا : أن المراد بذلك انتشارها يوم القيامة . وقال الضحاك : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ يعني بذلك : الاتواء التي كان أهل الجاهلية إذا مطّروا قالوا : مطرنا بنوء كذا وكذا .

وقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَطَوَّعَ عَظِيمٌ ﴾ أي : وإن هذا القسم الذي أقسمت به لقسم عظيم ، لو تعلمون عظمته لعظمتكم المقسم به عليه ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ أي : إن هذا القرآن الذي نزل على محمد لكتاب عظيم ﴿ فِي كِتَابٍ مَكْتُوبٍ ﴾ أي : معظم في كتاب معظم محفوظ موقر . عن ابن عباس : ﴿ لَا يَمَسُّهُ ﴾ قال : الكتاب الذي في السماء ﴿ إِلَّا الْمَطْهُرُونَ ﴾ يعني : الملائكة . وكذا قال أنس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبّير ، وغيرهم . وقال قتادة : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمَطْهُرُونَ ﴾ قال : لا يمسه عند الله إلا المطهرون ، فأما في الدنيا فإنه يمسه المجوسى النجس ، والمنافق الرجس . وقال ابن زيد : رزعت كفار قريش أن هذا القرآن تنزلت به الشياطين ، فأخبر الله تعالى أنه لا يمسه إلا المطهرون كما قال : ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ . وَمَا يَنْهَى لَهُمْ وَمَا يَسْتَجِيبُونَ . إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعزُونَ ﴾ [الشعراء : ٢١٠ - ٢١٢] . وهذا القول قول جيد ، وهو لا يخرج عن الأقوال التي قبله . وقال آخرون : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمَطْهُرُونَ ﴾ أي : من الجنابة والحدث . قالوا : ولفظ الآية خير ومعناها الطلب ، قالوا : والمراد بالقرآن هاهنا المصحف ، كما روى مسلم عن ابن عمر : أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو ، مخافة أن يناله العدو^(١) .

وقوله : ﴿ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أي : هذا القرآن منزل من الله رب العالمين ، وليس هو كما يقولون : إنه سحر ، أو كهانة ، أو شعر ، بل هو الحق الذي لا مرية فيه ، وليس وراءه حق نافع . وقوله : ﴿ أَفِيهِذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴾ قال ابن عباس : أي مكذبون غير مصدقين . وكذا قال الضحاك ، والسدى . وقال مجاهد : ﴿ مُدْهِنُونَ ﴾ أي : تريدون أن تمالئوهم فيه وتركتوا إليهم . ﴿ وَتَجْمَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ ﴾ قال بعضهم : يعني : وتعملون رزقكم بمعنى شكركم أنكم تكذبون ، أي : تكذبون بدل الشكر . وعن ابن عباس قال : ما مطّر قوم قط إلا أصبح بعضهم كافرا ، يقولون : مطرنا بنوء كذا وكذا . وقرأ ابن عباس : « وتعملون شكركم أنكم تكذبون » . وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس .

وروى مالك في الموطأ عن زيد بن خالد الجهني أنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . « قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب . وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا ،

(١) مسلم (٩٢/١٨٦٩) ، ورواه البخاري (٢٩٩٠) .

فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب . أخرجاه فى الصحيحين ، وأبو داود ، والنسائى^(١) . وروى مسلم عن أبى هريرة ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين ، ينزل الغيث ، فيقولون : بكوكب كذا وكذا » . تفرّد به مسلم من هذا الوجه^(٢) . وقال مجاهد : « وتَجْطُلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ » قال : قولهم فى الأنواء : مطرنا بنوء كذا ، وبنوء كذا ، يقول : قولوا : هو من عند الله ، وهو رزقه . وهكذا قال الضحاك وغير واحد . وقال قتادة : أما الحسن فكان يقول : بنس ما أخذ قوم لأنفسهم ، لم يرزقوا من كتاب الله إلا التكذيب . فمعنى قول الحسن هذا : وتعملون حظكم من كتاب الله أنكم تكذبون ؛ ولهذا قال قبله : « أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهِبُونَ . وَتَجْطُلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ » .

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٦٦﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٦٨﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٦٩﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾

يقول تعالى : ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ ﴾ أى : الروح ﴿ الْحُلُقُومَ ﴾ أى : الحلق ، وذلك حين الاحتضار ، كما قال : ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ . وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ . وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ . وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ . إِلَىٰ رَبِّكَ يُوقِذُ السَّاقِ ﴾ [القيامة : ٢٦ - ٣٠] ؛ ولهذا قال هاهنا : ﴿ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴾ أى : إلى المحتضر وما يكابده من سكرات الموت ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ ﴾ أى : بملائكتنا ﴿ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ أى : ولكن لا ترونهم . كما قال فى الآية الأخرى : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ . ثُمَّ رَدُّوا إِلَى اللَّهِ مَرْلَأَهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْعِلْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ [الأنعام : ٦١ ، ٦٢] .

وقوله : ﴿ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ . تَرْجِعُونَهَا ﴾ معناه : فهلا ترجعون هذه النفس التى بلغت الحلقوم إلى مكانها الأول ، ومقرها فى الجسد إن كنتم غير مديين . قال ابن عباس : يعنى محاسبين . وروى عن مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقاتدة ، والضحاك ، والسدى مثله . وقال سعيد بن جبيرة ، والحسن البصرى : ﴿ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾ : غير مصدقين أنكم تدانون وتبعثون وتمجزون ، فردوا هذه النفس . وعن مجاهد : ﴿ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾ : غير موقنين .

﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٧١﴾ فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَحَسَنٌ نَّعِيمٌ ﴿٧٢﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٧٣﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٧٤﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الْأَشْقَاءِ ﴿٧٥﴾ فَنَزْلٌ مِنْ حَيْمِرٍ ﴿٧٦﴾ وَتَنْصِيلٌ فِي حَيْمِرٍ ﴿٧٧﴾ إِنَّ هَذَا لَمَوْحٌ بَاطِنٌ ﴿٧٨﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٩﴾ ﴾

هذه الأحوال الثلاثة هى أحوال الناس عند احتضارهم : إما أن يكون من المقربين ، أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين . وإما أن يكون من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى ، الجاهلين بأمر الله ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ ﴾ أى : للمحتضر ﴿ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴾ ، وهم الذين فعلوا الواجبات والمستحبات ، وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات ﴿ فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَحَسَنٌ نَّعِيمٌ ﴾ أى : فلهم روح وريحان ، وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت ، كما تقدم فى حديث البراء : أن ملائكة الرحمة

(١) مالك فى الرطأ (١/١٩٢) والبخارى (٨٤٦) ومسلم (٧٢/١٢٥) وأبو داود (٣٩٠٦) والنسائى (١٦٤/٣) .

(٢) مسلم (٧٢/١٢٦) .

تقول : « أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمريه ، اخرجي إلى روح وريحان ، ورب غير غضبان » (١) . قال ابن عباس : ﴿ فَرُوحٌ ﴾ يقول : راحة وريحان ، يقول : مستراحة . وكذا قال مجاهد : إن الروح : الاستراحة . وقال سعيد بن جبيرة ، والسدى : الروح : الفرح . وعن مجاهد : ﴿ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ ﴾ : جنة وريحاء . وقال قتادة : فروح : فرحة . وقال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبيرة : ﴿ وَرِيحَانٌ ﴾ : ورزق . وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة ، فإن من مات مقرباً حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة ، والفرح والسرور والرزق الحسن ، ﴿ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ ﴾ . وقد قدمنا أحاديث الاحتضار عند قوله تعالى في سورة إبراهيم : ﴿ يَهَيِّئُ اللَّهُ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾ [إبراهيم : ٢٧] .

وقد وردت أحاديث تتعلق بهذه الآية : روى الإمام أحمد عن أم هانئ : أنها سألت رسول الله ﷺ : أنتزاور إذا متنا ، ويرى بعضنا بعضاً ؟ فقال رسول الله ﷺ : « تكون النسم طيراً يعلق بالشجر ، حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدها » (٢) . هذا الحديث فيه بشارة لكل مؤمن ، ومعنى « يعلق » : يأكل ، ويشهد له بالصحة أيضاً ما رواه الإمام أحمد عن كعب بن مالك ، عن رسول الله ﷺ قال : « إنما نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَمْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ ، حَتَّى يَرْجِعَهُ اللَّهُ إِلَى جِسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ » (٣) . وهذا إسناده عظيم ، ومتم قويم . وفي الصحيح : أن رسول الله ﷺ قال : « إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر ، تسرح في الجنة حيث شاءت ، ثم تأوى إلى قناديل معلقة بالعرش » (٤) الحديث .

وقوله : ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ أى : وأما إن كان المحتضر من أصحاب اليمين ، ﴿ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ أى : تبشركم الملائكة بذلك ، تقول لاحدهم : سلام لك ، أى : لا بأس عليك ، أنت إلى سلامة ، أنت من أصحاب اليمين . وقال قتادة ، وابن زيد : سلم من عذاب الله ، وسلمت عليه ملائكة الله . كما قال عكرمة : تسلم عليه الملائكة ، وتخبره أنه من أصحاب اليمين . وهذا معنى حسن ، ويكون ذلك كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْهَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ . نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ . نَزَّلْنَا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ ﴾ [مفصلت : ٣٢٠-٣٢٢] . وقال البخارى : ﴿ فَسَلَامٌ لَكَ ﴾ أى : مُسَلِّمٌ لَكَ ، إنك من أصحاب اليمين . والغيت « إن » وبقي معناها .

وقوله : ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ . فَنُزِّلَ مِنْ حَمِيمٍ . وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٍ ﴾ أى : وأما إن كان المحتضر من المكذبين بالحق ، الضالين عن الهدى ، ﴿ فَتُزَلُّ ﴾ أى : فضيافة ﴿ مِنْ حَمِيمٍ ﴾ وهو المذاب الذى يصهر به ما فى بطونهم والجلود ، ﴿ وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٍ ﴾ أى : وتقرير له فى النار التى تغمره من جميع جهاته . ثم قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴾ أى : إن هذا الخبر لهو الحق اليقين الذى لا مرية فيه ، ولا محيد لاحد عنه . ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ وروى البخارى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » . ورواه بقية الجماعة إلا أبدا داود مثله (٥) .

(١) مسند أحمد (٨٧٥٤) وقال الشيخ أحمد شاكر : « إسناده صحيح » وابن ماجه (٤٢٦٢) .

(٢) المسند (٤٢٤/٦) .

(٣) المسند (٤٥٥/٣) .

(٤) مضى الحديث عند تفسير الآية (١٦٩) من آل عمران ، وتخريجه هناك .

(٥) البخارى (٧٥٦٣) ومسلم (٣١/٢٦٩٤) والترمذى (٣٤٦٧) والنسائى فى الكبرى (١٠٦٦٦) وابن ماجه (٣٨٠٦) .